

وأيضاً، تهجم على التخطئة!

الأستاذ محمود محمد شاكر

إلى أخى البصام :

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فيخيل إلى - والله أعلم -
بك رجل واسع المعرفة ، مغرّى بالتحصيل ، دقيق البصر ، تطلب
لكلام وإسناده ووجهه ومكانه وضوابطه . وحسب طالب المعرفة
أن يكون كذلك .

وقد طالع على مقالك فى الرسالة ، فما أدري والله من أى
مريبك أعجب ؟ من واسع معرفتك ، أم من حسن تهديك إلى
بواطن الشبهة فى كلامى . أم لعلى أعجب من استجلابك للحجة
بعد الحجة فى تخطئة شئ . كان الناس فى غنى وراحة عن اضطرابهم
بن سوابه وخطئه ؟

ونختصر القول هو أنك تريد أن تقول إن الكتاب ينبنى
ن يبدأ كما بدى . فى بعض كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب أصحابه بقولك : « سلام عليك » فإذا كان الختام قيل :

« والسلام عليك » ، وأن من بدأ الكتاب بقوله : « السلام
عليك » فقد أخطأ . أفهذا شئ من أدب الكتابة واتباع السنة
وحسب ، أم هو قاعدة توجب الاتباع نحواً ولغة ورواية ، فيكون
من بدأ بقوله : « السلام عليك » مرفأً فقد أخطأ فى حق النحو
واللغة والرواية ؟ وكلامك كله يدل على أن البدء بالسلام المرف
خطأ من قبل النحو واللغة والرواية . أليس كذلك ؟

فإذا كان ذلك كذلك ، فقد رويت لك قول صاحب اللسان
فى مادة (سلم) : « ويقال السلام عليكم ، وسلام عليكم ،
وسلام يحذف عليكم » ، وهذا ولا ريب قول اللغة والرواية والنحو
فيما رواه لنا الرواة ، فى تحديد بدء السلام (الذى هو التحية) .
هذه واحدة .

ثم ذكرت لك قول الأخفش الذى رددته على ، وقلت إنه
لا يستدبه (هكذا) ، لأنى لم أذكر مصدره الذى نقلت عنه ، وفيه
تصريح بين كتصريح صاحب اللسان ، ثم زاد فأظهرنا على الالة
فقال إن « سلام عليكم » حذفت منه الزيادة (وهى الألف واللام)
كما يحذف الحرف الذى هو من أصل الكلمة فى قولنا : (لم يك) .
وعلة أخرى هى أنه لما كثر استعمال « السلام عليك » بالألف
واللام حذفوا لكثرة الاستعمال . وهذا تقرير يدل على أن اللغة

قالت : وإننى لأقر بأن زوجى لم يقصد من تحطيم الأبواب
لحاق الأذى بى ، أو المبت بحوائجى ، وإنه فعل ذلك وهو تحت
تأثير الخمر فقط ، وأما اللكمة التى أصابتنى منه فقد
كانت عفواً ...

وبالرغم من هذا التوضيح فى الإفادة حكم على يوزيك بالسجن
سبعين ، وفى السجن قص على زملائه قصته فقال فيما قاله :
« ... وكان من عادة زوجتى إذا ما وجدتني عملاً أن تفتش
بيوتى ، وتأخذ ما تجده فيها من مال . وحدث مرة أن قبضت
بماشى وجئت البيت ، فوجدتها قد أعدت لى زجاجة كبيرة من
لفودكا فأنيت عليها . ولما لبست الخمر برأسى قالت لى : « هيا
منى قلبى لتتزه فى ضوء القمر ! » . فقامت أترنح مستنداً إلى
أرأعها ، وانقادتنى إلى حيث أرادت . ولا أذكر كيف أنفت
وجدتنى ملق على السطح فتفتقت تماشى فلم أجده ... فأدركت
لحال أن « الأميرة » سرقتنى .

فقال أحد الساجين : - ماذا تقول ... أميرة ؟ ...
فأجاب يوزيك : - أجل ، تدعى زوجتى أنها من سلالة
آل رومانوف ! ...

فقال سجين آخر : - ومن تكون زوجتك إذن ؟
قال : - ليست زوجتى سوى امرأة مقامرة فى حياتها .
فرت من روسيا إبان الحرب الأهلية ، ثم قامت بأعمال مظلمة هنا
وهناك ، وتجمولت بين تركيا والبلقان وعمان ! ... وهما هى اليوم
تبارك الناس فى النهار وتسطو على فى الليل .
ولما خرج يوزيك من السجن كانت أولجا تنتظره ، فتصافحا
وتناقشا ، وعادا إلى مسكنهما سوياً ، وكانت هى قد أعدت له كمكا
وشايا ، فجلسا إلى المائدة ، ودار بينهما حديث عتاب . وحديث
آخر عن الإنسان وحظوظه الماثرة ...

نهباني صرني

وقد جاء منكراً وهو أول ، وكان حقه أن يأتي في الآخر منكراً مرفوعاً كما جاء في الأول فقال لك : « لأن الشيء إذا بدى ، يذكره كان نكرة ، فإذا أعدته صار معرفة ، وكذا كل شيء . » تقول : مر بنا رجل ، ثم تقول : رأيت الرجل قد رجع ، فكذلك لما صرت إلى آخر الكتاب ، وقد جرى في أوله ذكر السلام عرفته أنه ذلك السلام المتقدم ، « ويريد أن يقول إن التعريف هنا « للمهد لا للجنس » . هذا كل ما في كلام الرجل ، لم يوجب شيئاً ولم يمنع شيئاً .

وأما الآية التي في سورة مريم من قول عيسى عليه السلام : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ... » ، وما جاء من قول الزمخشري فيها : « قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله » يعني في قول الله تعالى ليحيى : « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ... » فذلك تفسير من الزمخشري لمعنى (ال) في قول من قال إن التعريف هنا للمهد . وأبي الزمخشري أن يكون كذلك لأن المهد ههنا باطل عنده ، فالسلام المذكور في قصة يحيى كان من قول الله سبحانه قبل مولد عيسى ، وهو آت في أول السورة في الآية (١٥) ، ثم مضى بعدها « واذكر في الكتاب مريم » وذكر الله سبحانه قصتها ، حتى أنقضت إلى كلام عيسى وهو في المهد إذ قال : « والسلام على يوم ولدت ... » في الآية (٣٣) ، فبين السلام الأول والثاني (١) انقطاع في المدة (٢) وانقطاع في السرد (٣) واختلاف في مبتدئ السلام وملقيه ، فالأول من الله والثاني من عيسى . هذا وسلام عيسى في الآية الثانية المرفوع فيها السلام ، ابتداء ولا ريب .

ومن أجل ذلك ذهب الزمخشري إلى أن التعريف ههنا للجنس لا للمهد (وهذا كما ترى يخالف كل المخالفة ما أراد ابن قتيبة في كلامه) . ثم ذكر الزمخشري نكتة البلاغة في التعريف فقال إن تعريف الجنس هو الصحيح لا تعريف المهد « ليكون ذلك ترميضاً باللعنة على من همى مريم وعلى أعدائها من اليهود » . وهذا عندي تحليل ضعيف جداً من الشيخ رضى الله عنه ، وكان خليقاً به أن يصرف عنه وجهه . ولولا أنه كان مولماً بنكت البلاغة لما وقع في مثل ما وقع فيه . وإن شئت أن ترداد فقها ومعرفة ، قلت فقرأ تفسير الشهاب الخفاجي والألوسي والتونوي وأبا حيان

والنحو والرواية تجمل الأصل في السلام المبدوء به هو التعريف . فإن شئت أن تعرف أن وقع هذا الكلام عن الأخفش فاطلبه في ص ١٥٢ ج ١ من كتاب تهذيب الأسماء واللغات للتونوي وفي غيره أيضاً . هذه ثانية .

فإذا شئت أن ترداد علماً فخذ كتاب « المخصص » لابن سيده ج ١٢ ص ٣١١ وقرأ قوله : « فأما قولهم : سلام عليك ، فأما استجازوا حذف الألف واللام منه ، والابتداء به وهو نكرة ، لأنه في معنى الدعاء ، فقيه وإن رفعت معنى النصب » . يريد كأنك تدعو فتقول : « سلاماً » . وقوله « استجازوا » دليل على أن الأصل هو التعريف بالألف واللام في ابتداء التحية ، وأن الحذف ترخيص منهم ، وهو شبهه بقول الأخفش . هذه ثالثة . فإن شئت أن تضرب الأمثال لنفسك بالشعر كما ضربتها لي ، فقرأ قول جرير في ديوانه ص ٤٤٣ وفي النفاضة ج ١ ص ٢١٢ يا أم ناجية السلام عليكم قبل الرواح وقبل لوم المذلل هذه رابعة .

وإن شئت أن تقرأ قول لبيد في الخزائن ج ١ ص ٢١٧ - ٢١٨ ، وفي ديوانه :

إلى الحول ثم اسم السلام عليك ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر فاقبل نجد قولهم أن كلمة (اسم) مقحمة ، وتقدير الكلام فيها يقول التحية : « ثم السلام عليك » ، وتجده أيضاً في إحدى زوايات « إلى سنة ثم السلام عليك » . هذه سادسة .

فانظر لنفسك هل أخطأ كل هؤلاء وأصب أنت ؟ واعلم مشكوراً أن المقام في هذا كله مقام ابتداء لا مقام ختام مسبوق بسلام منكراً غير معروف .

وأما نص ابن قتيبة فهو كلام بين لا غموض فيه ، فالرجل يقول لك : « تكتب في صدر الكتاب : سلام عليك ، وفي آخره السلام عليك » ولم يقل لك إنه ينبغي ، ولا أن القاعدة « أن تكتب في صدر الكتاب كذا ... » ، وهو إنما ذكر هذا في كتابه في (باب الهجاء) لا في باب أدب الكتابة كما ترى ، ولم يأمر الرجل ولم ينه ، ولم يقل لك إن من قال في أول كتابه « السلام عليك » مرفقاً فقد أخطأ ، كما شئت أنت تقول له . وأما ما ذكره من أمر التعريف ، فإنه أراد أن يملك لم عرف ثانياً

يقال كما رويت ، فالصحابه جميعاً والتابعون من بعدهم ، وأئمة المذاهب من عرفت منهم ومن لم تعرف ، مذهبهم تعريف السلام في التشهد كله إلا (ابن عباس) من الصحابة ، والشافعي من أصحاب المذاهب ، فإنه ارتضى تشهد ابن عباس وآثره لأنه عنده (هو) أتم الروايات وأكملها ، ولكنه لم ينكر التعريف ، ولا استنكره المزني ولا سواء من أئمة مذهبه . فلو أنت عانيت نفسك فرجعت إلى شرح البخاري كابن حجر (ج ٢ ص ٢٦١ وما بعدها) والبيهقي (ج ٦ ص ١٠٩ وما بعدها) لعرفت أن الصحابة والتابعين مجمعون على روايته بالتعريف في التشهد جميعاً ، ولأريت أن أكثر الصحابة قالوا في حديث التشهد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن ، ولأريت النووي وهو من أصحاب الشافعي يقول : « قوله السلام عليك أيها النبي ، يجوز في السلام في الموضعين حذف اللام وإثباتها ، والإثبات أفضل » . أبعد هذا ياسيدي تطالبي بأن أطلعك أنت « على نص يوثق به يشير إلى أنهم منذ زمن الرسول (ص) يقولون في التشهد السلام عليك أيها النبي ! عسى ولعل ، ولعل أهل القبلة أخطأوا جميعاً وأصبحت أنت ! بما أدت من التدقيق والتحقيق والفحص وطلب الموثيق ! !

وأما إنكارك الحديث على ما خيلت لك ، وأنه مما لا يستشهد به أهل اللغة والنحو ، واحتجاجك على ذلك بشيء اقتطعته من بحث في خزنة الأدب ج ١ ص ٦ ، ولم تنم على وجهه بالتدقيق والتحقيق والفحص وطلب الموثيق كدأبك وعلى عادتك ، فهذا باب وحده لو ارتطمت فيه لم تعرف مخرجك منه . وما الذي ألك إلى هذا أيها العزيز ؟ ألا أنيتك بحديث المسند ج ٤ ص ٤٣٩ وفيه النص على أن المسلمين كانوا يبدأون التحية بقولهم « السلام عليك » ؟

والحديث الصحيح الذي استخلصه رواتنا رضي الله عنهم ، فنفوا عنه كذب الكاذبين ، وتحريف الغالين ، وانتحال المبطلين حجة في اللغة والنحو ، ولو زعم لك زاعم أنه لا يكون حجة في اللغة ولا في النحو فاعلم أنه مبطل ، وأنه غافل لا يدري ما يقول . ولو رجعت إلى الخزانة التي نقلت عنها (وحسبك ولا أزيدك) علمت أن صاحبك نقل الذي نقلت لي في كلامك ، وأنه رجل عالم طالب حق لا مفرور بباطل ، فقد ذكر وجوه اعتراض المبطلين في الاحتجاج بالحديث ثم نقضها حجة حجة ، وصرح

وكتاب الأنموذج للرازي وتدبر ما فيها كل التدبر .

وأما قوله في الآية الأخرى من سورة طه : « والسلام على من اتبع الهدى » إن معنى التعريف ههنا التعريض بحلول المذاب على من كذب وتولى ، فهذا جيد وحسن لقوله تعالى في الآية التي تليها : « إنا قد أوحى إليك أن المذاب على من كذب وتولى » . وهذا أيضاً طلب لنكت البلاغة ، وتبيان لأن التعريف ههنا للجنس . ولكن الزغشري لم يقل لك ، ولا غيره فيما أحسب يقول لك : إن تعريف الجنس ينبغي أبداً أن يكون متضمناً معنى التعريض بشيء كالمداب أو الويل أو الهلاك أو سوى ذلك كله . ولو كان ذلك كذلك أيها الصديق لكان قصر تعريف الجنس على التعريض عجباً من العجب المضحك ، فانظر إلى قولك « سلام عليك » التي كان أصلها « سلاماً عليك » منصوبة بفعل محذوف ، والتي عدل بها من النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات معنى السلام واستقراره ، مع بقائها في معنى الدعاء ، فأنت إذا عرفتها تعريف الجنس فقلت « السلام عليك » اقتضت التعريض ، فعندئذ تقول لي كما قلت : « وبديهي أيها الأستاذ أنك لا تعني بقولك (السلام عليكم) في بدء كتابك الأول تعريضاً بأحد إذ لا حاجة إلى التعريض » .

نخذ عندئذ أختها وهي قولهم « حمد لله » التي كان أصلها « حمداً لله » منصوبة بفعل محذوف ، والتي عدل بها من النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات معنى الحمد واستقراره ، مع بقائها في معنى من معاني الشكر والدعاء . فإذا عرفتها تعريف الجنس فقلت : « الحمد لله رب العالمين » أفيتقضى ذلك تعريضاً أو توبيخاً أو تهكماً !!! ألا يكون هذا عندئذ عجباً من العجب المضحك ...

ومن أجل تعريف الجنس ما أنتم الزغشري نفسه في آية مريم وفي آية طه ، وفي سورة الفاتحة من تفسير قوله : « الحمد لله » فافهم هناك وتدبره كل التدبر .

وأما مسألة حديث التشهد فأراك جُررت فيها على الحق . ولقد قلت في مقالتي : « أما أهل القبلة فتشهدهم بعد الصلاة مختلف فيه ، فمنهم من يقول (سلام عليك) ومنهم من يقول (للسلام عليك) » . وقبل كل شيء ، فتشهد أهل القبلة لا يكون « بعد الصلاة » وهو « من الصلاة » ومن تركه أو بدّل فيه بطلت صلاته . هذه وإحدى ، وأما الثانية ، فاختلاف أهل القبلة ليس

ثم خذ صاحبك الطبري ج ٣ ص ١٥٦ الذي نقلت منه كتاب رسول الله إلى القوقس ، وكتاب أبي بكر ، وصاحبك « كتاب صبح الأعشى » ج ٦ ص ٤٦٥ ، الذي نقلت عنه كتاب الرسول إلى كسرى ، ثم اقرأ هداك الله : « الحمد للنبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ... » إلى آخر الكتاب .

فهل قنعت أيها العزيز بما سقت إليك ؟ وأحضك النصيح أن لا تتبع تلك الناجية التي نجت بين أهل اللغة تريد أن تتبعج بالعلم والمعرفة والفقه ، فتأق صواب الناس ترميه بالخطأ على الشك والتوهم وسوء التأويل وفساد الفهم . واعلم أن العربية تعلم العقل ، فمن شاء أن يطلبها بحقها فليصبر عليها صبر المؤمن . وأنت امرؤ فيك خير فلا تضيع ما آناك الله بالمعجلة والتسرع ، فتتعب قبل أن تحكم ، وتدبر قبل أن تقطع ، واستقص قبل أن تستوثق ، وانظر لنفسك قبل أن تزل بك قدم ، واعلم أن شر أخلاق الناس اللجاجة ، وشر اللجاجة لجاجة العالم ، وشر لجاجة العالم لجاجته فيما لا يعلم أو فيما لا يحسن ، وأن نصف العلم قول المرء فيما لا يدري لست أدري . فالفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك ، هداك الله وأعانك وسدد خطاك . والسلام عليك ورحمة الله .

محمد محمد شاكر

مجلس سريرة القليوبية

يطرح في المناقصة العامة عقد ومواصفات عن الترميمات والإنشاءات اللازمة لمأهـد المجلس وتطلب المناقصة من إدارة المجلس فيها نظير مبلغ ثلاثمائة مليون على عرضحال دمنه . وآخر ميـعاد لقبول المطامات يوم ٩ / ٤ / ٩٤٦ ويوم ١٥ منه لفتح المظاريف الساعة التاسعة أفهـرنكي

٥٠٢٤

صباحا .

بأن تدوين الأحاديث وضبطها وقع في الصدر الأول من الاسلام قبل أن تقسد اللغة وترتضخ الألسنة باللكنة الأعجمية ، كما يعلم ذلك من درس تاريخ رواية الحديث وتدوينه حق دراسته ، ثم صرح في آخر كلامه بأن لا فرق بين جميع روايات الحديث مهما اختلفت الفاظها ، في صحة الاستدلال بها في اللغة والنحو . وكنت حقيقاً أن تقرأ كل هذا قراءة طالب العلم ، فلا تسألني أن أعلق باب الاستشهاد بالحديث ، من أجل كلمات رويتها لم تحسن وضعها في مواضعها .

وإلا لخذني أيها العزيز لم ترى علماء اللغة ، كصاحب اللسان ، وابن الأثير ، والزعفراني صاحب كتاب الفائق ، وسوام من عرفت ومن لم تعرف — يملأون كتبهم استشهاداً بالحديث على معان لم توجد في غير الحديث ، ولو طلبت لها شاهداً من الشعر أو غيره لم تجد . فإما أن يكونوا هم البطلين ، وإما أن تكون أنت على حق ، فنبتل من أجلك نصف اللغة ونصف النحو وأشياء أخرى كثيرة .

ثم انظر إلى أيها الصديق ! ألت أنت الذي تقول هذا ، وتقول لي أيضاً في صدر من كلامك معلماً ومنهياً ومقرعاً إنه « فإني أن الحديث لا يستشهد به أهل اللغة والنحو » . هو أنت أنت الذي لم يلبث في آخر كلامه أن يأتي بشيء يتناقض هذا كل المناقضة ، فنقلت كتاب رسول الله إلى القوقس ، وهو من الحديث ومما رواه المحدثون ، وكتابه إلى كسرى ، وهو من الحديث ، وكتاب أبي بكر إلى المرتدين ، وهو من رواية أهل الحديث ، ثم أردفت ذلك بقولك : « ومعلوم أن هذه الكتب مدونة ويستشهد بها القليوبون والنحاة » ؟ يا عجبا كل العجب ! فمن الذي روى لك هذه الكتب ؟ أليسوا هم الذين روى لك الحديث ، وحديث التشهد ، وحديث السلام في المسند ؟ وابن دوت هذه الكتب إلا في الكتب التي دون فيها الحديث ؟ وما فرق ما بين تدوين الحديث وتدوين هذه الكتب ؟

وإن كنت قد ارتضيت هذه « الكتب المدونة » حجة . يوثق بها ، نخذ كتاب الزعفراني صاحبك ، وهو المسمى بالفائق ج ٢ ص ٣ ، وقرأ فيه وفي غيره أيضاً : « من محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد . السلام على من آمن بالله ورسوله ... » إلى آخر الكتاب ، ولم يمرض الزعفراني أيضاً على هذا البدء ، ولم يقل إنه خطأ في اللغة ولا في النحو .